

كيف سنعيش معا؟

How will we live together?

فيصل زيات

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة/ الجزائر (fayssal.ziat@univ-tebessa.dz)

تاريخ الاستلام: 2026/03/10 ؛ تاريخ القبول : 2026/05/04 ؛ تاريخ النشر : 2026/05/20

Abstract

المخلص

The aim of this research is to define living with, for, and with others, free from racism and ethnic bias in cultural and civilizational classification. This is a mission that Claude Lévi-Strauss sought to achieve, aiming to establish the principle of cultural and civilizational equity and to overcome the obstacles of historical classification based on all forms of exclusion that label primitive peoples as savage, barbaric, and outside of civilization.

Through the question, "Do we truly live at all?", the study concludes that our existence is increasingly confined, isolated from the world, and entrenched. We are witnessing a pervasive individualism that is now leading to a rejection of collective existence, with a marked tendency toward a virtual existence.

الهدف من البحث هو التعريف بالعيش مع ومن العيش مع ومن أجل الآخرين دونما عنصرية وعرقية في التصنيف الثقافي والحضاري، مهمة أراد منها كلود ليفي ستراوس تحقيق مبدأ الإنصاف الثقافي الحضاري، وتجاوز عقبات التصنيف التاريخي وفق كل أشكال الإقصاء التي تنعت الشعوب البدائية بأنها متوحشة وبربرية وخارج الحضارة...

وتوصلت الدراسة من خلال سؤال هل نعيش حقًا على الإطلاق؟ أن وجودنا محصور بشكل متزايد، ومنعزل عن العالم، ومتجذر، إننا نشهد فردانية متفشية تؤدي الآن إلى رفض الوجود الجماعي، مع ميل ملحوظ نحو افتراضية الوجود.

Keywords: Living together, modernity, individualism, virtual existence, sanctity of life.

الكلمات المفتاحية: العيش معا، الحداثة، الفردانية، الوجود الافتراضي، قدسية الحياة.

1. مقدمة :

إن تاريخ البشرية، بإنجازاته الهائلة، وكذلك باستمرار الصراعات بين الجماعات البشرية وتفاقمها، وما يترتب عليها من دمار هائل وكوارث طبيعية وغير طبيعية، يُبرز إشكالية التعايش البشري وصعوبته المتزايدة، أي العيش معًا، ومن هنا تأتي الحاجة الملحة لتعلم العيش مع الآخرين، وفي الواقع تتزايد هذه الحاجة الملحة، وتُشكل الهجرات الجماعية الهائلة للشعوب، وتفاقم حالة الإرهاب المأساوية، ليس فقط في البلدان التي تشهد حروبًا، بل في كل مكان، وخاصة الأعمال الغير الإنسانية. بصرف النظر عن الحرب الدائرة في أوكرانيا بسبب الهجوم الروسي، وبين إسرائيل وفلسطين، يكفي التفكير في الأحداث المأساوية في باريس وبروكسل ونيس وميونخ وبرلين - التي وقعت عام 2012 وما بعده - ولفترة من الوقت في دول مثل تركيا وسوريا، وكذلك في ميانمار وهائتي، وغيرها. نتساءل: هل من الممكن حقًا العيش معًا في سلام وسكينة ووثام؟ في هذه الحالة، ليس فقط المؤسسات، بل كل فرد مدعو لاتخاذ موقف حيال الوضع، لدرجة أن الأمر يتطلب سياسة فعالة، وفي الوقت نفسه، إجراءات تعليمية وتدريبية على جميع المستويات. (CHANG, 2024, pp. 26-27)

إن العيش معًا، من حيث شمول الآخر/الآخرين، والمختلف/الاختلاف، قضية متعددة الأبعاد، لا تقتصر على سياق الأسرة والمدرسة فحسب، بل تشمل أيضًا سياق العمل والتعايش المدني، والعلاقات بين الجنسين، والأعمار، والأعراق، والأديان، واللغات، والأيديولوجيات، وبين البلدان والقارات.

في هذا المقال، ينصب الاهتمام على المنهج التربوي الذي يركز على تعلم العيش معًا مع الآخرين. ويذكرنا العنوان بموضوع الدورة السادسة والأربعين للمؤتمر الدولي للتعليم (ICE)، الذي نظّمته اليونسكو - المكتب الدولي للتعليم (جنيف، 5-8 سبتمبر 2001): التعليم للجميع من أجل تعلم العيش معًا: المحتويات واستراتيجيات التعلم - المشكلات والحلول، ولا سيما تقرير جون دانيال بعنوان، تعلم العيش معًا: تحدٍ ذو أولوية في فجر القرن الحادي والعشرين.

وفي الواقع، يمكن العثور على اقتراح صريح - على المستوى الدولي - لتعلم العيش معاً في تقرير لجنة فور (1972): تعلم أن تكون: عالم التعليم اليوم وغداً، وكذلك في تقرير ديلور الشهير لعام 1996، الذي أعدته لجنة اليونسكو الدولية للتعليم في القرن الحادي والعشرين، برئاسة جاك ديلور، الذي اشتق منه اسم التقرير. لقد أصبح تقرير ديلور، المعنون "التعلم: الكنز الكامن"، مرجعاً أساسياً لكل مبادرة وفكر لاحقين روجتهما نفس الهيئة وغيرها من المنشورات التربوية والتعليمية.

أكد تقرير فور، الصادر قبل خمسين عاماً، على ضرورة إعداد البشر القادرين على التواصل مع الآخرين في المجتمع، ومن هنا جاءت الحاجة إلى تعليم: كيف نعيش، كيف نتعلم، كيف نكتسب معارف جديدة طوال الحياة، كيف نفكر بحرية ونقد، كيف نحب العالم ونجعله أكثر إنسانية، كيف نحقق ذواتنا في العمل.

لا شك أن تعلم العيش مع الآخرين يمثل تحدياً تربوياً حاسماً في عصرنا، ومهمة لا غنى عنها يجب تعزيزها في جميع مجالات التعايش الإنساني. وتدرك المبادرات العديدة للهيئات الدولية هذا تماماً، ولا سيما التقرير الأخير المعنون "إعادة تصور مستقبلنا معاً: عقد اجتماعي جديد للتعليم" (نوفمبر 2021)، الذي تؤكد فيه اليونسكو مجدداً على ضرورة بناء علاقاتنا مع الآخرين، ومع بيئتنا، ومع التكنولوجيا. وهناك أيضاً اليوم الدولي للعيش معاً في سلام الذي تحتفل به اليونسكو (16 ماي). (CHANG 2024,p 27)

- إشكالية الدراسة:

يتضح مما سبق أننا بحاجة ماسة إلى هذا الاتجاه الجديد - العيش معاً - وذلك من خلال قدرته على تلبية حاجات الانسان، كما يقوى على تأطير موضوعه بأدواته النظرية والمنهجية، والأدوات النقدية، ومن هنا ظهر هذا الاتجاه الحديث يسعى تقديم بناء علاقاتنا مع الآخرين.

ولمحاولة ابراز مفهوم هذا الاتجاه الجديد، فإن البحث سيحاول دراسة الموضوع انطلاقاً من

بعض التساؤلات التي ستكون محل مناقشة وتحليل:

ما مفهوم العيش معاً؟ وكيف تطور هذا المفهوم؟

وهل يمكننا حقاً العيش بسلام دائماً؟

- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أهمية الموضوع ذاته، وماله من دور أساسي في حق العيش بسلام ومع الآخرين؛ إذ لا يمكن لأي إنسان أو منظمة أو مؤسسة أن يحقق تقدماً راقياً، إلا إذا أسس لقاعدة العيش بها لتنمية القدرات البشرية الكافية.

- "العيش معاً" هو العنصر الأساسي لبناء الخطاب الإنساني فلا حضارة دون العيش معاً قائم فاعل ناقد فيما بينه.

- المشاركة في حل المشكلات التي تواجه الخطاب الحضارات، من أجل إنتاج معرفة ذات خصائص إبداعية وابتكارية متميزة.

- منهجية البحث:

اعتمدت في هذا البحث عدة مناهج وآليات أهمها:

- المنهج التحليل الاستنباطي: الذي سنعمل من خلاله على القيام بدراسة تحليلية للأسس العيش المشترك وأثره على الإنسانية جمعاء.

- المنهج الاستقرائي: وذلك إذا تعلق الأمر بفحص قضايا العيش المشترك وتحليلها واستخراج بعض النتائج.

أما بالنسبة للآليات: فاستعملت آلية التعريف وإعادة التعريف حين تعلق الأمر بإعادة بناء المفهوم، وآلية التعريف بالمقابلة وآلية التعريف بالحد في ضبط المفاهيم وتحديددها.

2. مفهوم العيش معاً:

ترتبط لفظة العيش بموضوعات "الحياة" و"الوجود" و"الإنسان"، إذ لا يمكن الفصل بين حق الإنسان في العيش وبين مسؤولياته نحو العالم والكون باعتباره الحي المفكر فيه في الوقت ذاته، وقد تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها لأنها تحمل دلالات متقاربة ومعان متجاورة، وما يفرق بينها هي تلك الإضافات التي تجعل المعنى أكثر وضوحاً ودلالة واختصاصاً، مثل تركيبات "التعايش السلمي"، و"العيش المشترك"، و"المعيش الكريم"، فهي تشكيلات لغوية وتداولية وشعارات جاهزة تلاصق اليومي وتتصدر المشاهد الإخبارية والأشهارية والمحافل التطوعية وكذا الووعظية والتعليمية في

مقاربة التركيب الذاتي مع الاستعداد الأجنبي لتحقيق التناسب الفكري والتناسق النفسي. (محمد، 2021، الصفحات 10-11)

يتضمن العيش مجموعة الاستعدادات (القوامات) والمركزات (القامات) وتطلق لفظة القوام على " ما به وجود الشيء وجوداً مادياً أو معنوياً " (عبد، 1994، صفحة 165) كما يشير المشترك إلى "مجموعة محددة ومن ثم عموم البشر... مجموعة كاملة أو مصلحة شاملة أو مجموعة شاملة أو مجموعة أو مجموعة كبيرة محددة وتابعة " ولفظة التعايش فيراد بها: الجوارية، والتواجدية، وهي عناصر ترتقي إلى مستويات التعاون.

وتُتَرح الشروط الثلاثة للعيش معا بين الكائنات الحية على النحو التالي:

- 1- إذا كانت للفرد علاقة مع الآخرين، فيجب أن يكون الفرد واعياً بهذه العلاقة.
- 2- يجب أن تكون العلاقة بين الكائنات الحية المتعايشة متبادلة.
- 3- يجب أن يكون لكل كائن حي متعايش مع كائنات حية أخرى نفس التصور لعلاقته كما هو الحال لدى شريكه.

يُنتج هذا التصور المشترك تصوراً مشتركاً، وهو "نحن". ومع ذلك، ينشأ هذا التصور دائماً

من كائن حي فردي. (Young, 2013, pp. 278-285)

الشرط الأول هو أن إمكانية العيش معا تبدأ بوجود كائنات حية واعية ومستقلة.

يجب أن يمتلك من يستطيع العيش معا وعياً بالتعايش مع الكائنات الحية الأخرى. في غياب هذا الوعي، ستُختزل العلاقة بين كيانين متعايشين إلى مجرد علاقة وجود مشترك، بدلاً من علاقة عيش معا. الكائنات الواعية فقط هي التي تستطيع العيش مع الآخرين. في هذا السياق، يشمل مفهوم الوعي فهم أن علاقات الفرد مع الآخرين تُعدّ مكونات أساسية لروابطه الاجتماعية. بالطبع، يمكن للكائنات غير الواعية أن ترتبط بالآخرين، على سبيل المثال العلاقات بين الأشياء والبشر. ومع ذلك، فإن هذه العلاقات إما أن يُحددها الآخرون أو تبقى غير معترف بها من قبل الكائنات غير الواعية نفسها لذلك، فإن العيش المشترك لا يكون ممكناً إلا في العلاقات بين الكائنات الفردية الواعية. (Kwon, 2025, pp. 5236-5237)

الشرط الثاني هو أن تكون علاقة العيش معًا متبادلة. إذا لم تكن العلاقة متبادلة، فإن العلاقة التي يفرضها كائن واعٍ على شيء غير واعٍ من جانب واحد يمكن اعتبارها أيضًا علاقة عيش مشترك. على سبيل المثال، العلاقة بين الأشياء الطبيعية والبشر هي شبكة معقدة للغاية من العلاقات المتبادلة. ومع ذلك، فهي ليست مثل العلاقة بين البشر. أي أن العلاقة بين الأشياء الطبيعية والبشر هي علاقة وجود مشترك، وليست علاقة عيش مشترك. ومع ذلك، يمكننا أن نتخيل شيئًا ما كما لو كان كائنًا يمكنه العيش معنا. من خلال هذا التخيل، يمكننا أن ندرك ونعتبر شيئًا ما كائنًا يمكنه العيش مثل الإنسان. يمكن للبشر أن يعيشوا مع أشياء مصرح بها من خلال خيالهم أو اعترافهم الأحادي، لكن الأشياء المصرح بها لا يمكنها ذلك. قد يقول قائل إن البشر والأشياء يمكنهم العيش معًا. ومع ذلك، فهذه مجرد علاقة خيالية - وإن كانت ممكنة ومفيدة أحيانًا. إن العلاقة بين البشر والأشياء ليست علاقة تبادلية. علاوة على ذلك، إذا قلنا إن علاقة العيش معًا ليست علاقة تبادلية، فينبغي أن نكون قادرين على الاعتراف عالميًا بأن البشر والأشياء يمكنهم العيش معًا كما هو موضح أعلاه. ومع ذلك، بما أننا نميز بين التواجد معًا والعيش معًا، فإن العلاقة بين الشيء والإنسان لا يمكن اعتبارها علاقة عالمية للعيش معًا. لذلك، يجب أن يكون هناك كائنات على الأقل للعيش معًا، ويجب أن يكونا قادرين على إقامة علاقة تبادلية. وهذا يدل على أن الكائنات التي تعيش معًا في علاقة تبادلية يجب أن تكون أفرادًا واعين، لأن الكائن الذي يفتقر إلى الوعي بعلاقته بالآخرين غير قادر على إقامة علاقة تبادلية مع أي كائن آخر.

الشرط الثالث هو أن الكائنات التي يمكنها إقامة علاقة تبادلية يجب أن تكون قادرة على مشاركة نفس التصور. (Kwon, 2025, pp. 5236-5237)

3. العيش مع الآخرين: يوتوبيا ضرورية

كما يشير الفيلسوف الإيطالي ر. مانشيني، فإن "اليوتوبيا" "يجب أن تُفهم الآن ليس على أنها تمثيل لما هو مرغوب فيه ولكنه مستحيل، بل على أنها وعي بكل ما يمكننا التعبير عنه في أوج إنسانيتنا الأصلية، واختيار لشجاعة الكرامة التي تتجلى عندما نرفض ما هو مُهين وزائف" (Mancini, 2019, p. 2). إن العيش معًا يعني العيش مع الآخرين، في وئام، كما يتضح من

صياغة "الركيزة" الثالثة للتعليم المشار إليها في تقرير ديلور. ولكن، من هم الآخرون؟ ولماذا نعيش معاً؟ تكمن وراء هذه المسألة مسألة أنثروبولوجية وتحديّ جوهري بينه جون دانيال ببراعة، إذ يقول: "إنّ تعلّم العيش مع الآخرين يعني حقّ الناس في البقاء "آخرين". وكما سيتضح لاحقاً، لا يتحقق هذا، في رأيي، دون تعلّم حبّ الآخرين، أي تمنّي الخير لهم، ما يعني الخروج من الذات بالتغلب على الأنانية، مقتنعاً بأنّ الحبّ لا وجود له دون قدرة وشجاعة التفاني والتضحية والتخلي.

في هذا المنظور، في الواقع بينما توجد حاجة ملحة للتوصل إلى أنثروبولوجيا شخصية تُعيد الاعتراف بكرامة كل إنسان دعماً لثقافة الحياة ومن أجل الحياة، يبرز في الوقت نفسه التزام الجميع (أفراداً ومؤسسات) بالصالح العام. سيتسع نطاق الخطاب ليشمل منظور البيئة المتكاملة، والوعي بقيمتنا الإنسانية.

الترابط ليس فقط بين البشر، بل أيضاً بيننا وبين الخليفة كلها، كما هو موضح في رسالتي البابا فرنسيس العامتين "Laudato Si'" :حول رعاية بيتنا المشترك" (24 مايو 2015)؛ و "Fratelli Tutti" حول الأخوة والصداقة الاجتماعية" (3 أكتوبر 2020). في الواقع، لا يوجد فصل في هذه العملية؛ وإلا، فسيُفَرِّغ المعنى الحقيقي للبيئة من أي المنزل.

لذلك، فإنّ عيشنا معاً، مع الآخرين، هو مثال ذو طبيعة أخلاقية وسياسية، يوتوبيا، ولكنه أيضاً، وقبل كل شيء، التزام لا غنى عنه للأفراد، بقدر ما تسير القدرة على العيش معاً جنباً إلى جنب مع النمو البشري السليم، بينما يقع على عاتق المؤسسات واجب الدفاع عن كرامة الإنسان وأن تكون ضامنة ومروّجة للتعايش السلمي، كما هو موضح بوضوح شديد في رسالة البابا فرنسيس العامة المذكورة أعلاه، " Fratelli Tutti" لذا، يُركّز التحدي على التعليم الذي ينبغي أن تدعمه سياسات حكيمة، وعلى ضرورة تحقيق حلم عالمٍ تُتاح فيه التنمية المستدامة (استراتيجية التنمية المستدامة 2005-2014؛ اليونسكو 2020)، حيث يسعى كل إنسان إلى عيش حياة واعية بكرامة نفسه وكرامة الآخرين. يُحدد إعلان "تحويل عالمنا: خطة التنمية المستدامة 2023" أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر للفترة 2016-2030، وهو يُمثّل بلا شك أفضل خطة عالمية لبناء عالمٍ أفضل للناس ولكوكبنا بحلول عام 2030.

مهمة شاقة تُشكّل تحديًا للجميع، وبالأخص للمعلمين. وتُعدّ ملاحظة "ز. باومان" بالغة الأهمية في هذا الصدد: "لم يسبق في تاريخ البشرية أن واجه المعلمون تحديًا يُضاهي التحدي الذي يُمثله التحوّل الحالي. ببساطة، لم نكن في وضع كهذا من قبل. لا يزال يتعين علينا تعلّم فنّ العيش في عالمٍ مُشبع بالمعلومات - في حالتنا: في عالمٍ أصبح متعدد الثقافات إلى حدّ كبير. تمامًا مثل فنّ إعداد البشر لعيش حياةٍ كهذه، وهو فنّ أكثر صعوبةً بكثير" (Mancini, 2019, p. 28)، إذا بدا الحديث عن تعلّم العيش معًا ضروريًا من الخيال والتناقض، من جهة، في ظلّ الطبيعة المأساوية لعالمنا الذي يشهد، كما أشار البابا فرنسيس، حربًا عالمية ثالثة تتوالى، بل وربما تلوح في الأفق، فإنّ العيش معًا، اليوم أكثر من أي وقت مضى، كما صرّح به ديلور نفسه في الفصل الأول من تقرير عام 1992، هو يوتوبيا ضرورية، لأننا جميعًا جزء من الأسرة البشرية نفسها. في الواقع، ليس الكتاب المقدس والأديان التوحيدية وحدها تؤكد ذلك، بل أيضًا ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، التي تنصّ على ما يلي: "إنّ الاعتراف بالكرامة المتأصلة والحقوق المتساوية وغير القابلة للتصرف لجميع أعضاء الأسرة البشرية هو أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم."

لقد مرّ أكثر من سبعين عامًا على صدور هذا الإعلان، ومع ذلك، لا يزال ضمان حقوق الإنسان للجميع حلمًا بعيد المنال، نظرًا لصمت وجمود من ينبغي أن يتدخلوا لكسر دائرة العنف. إن إرساء دعائم تعليم الجميع وللجميع، إعلان الأمم المتحدة (2011)، أشبه بـ"إنجيل علماني"، ينبغي أن يكون واجبًا حتميًا على كل من يتحملون مسؤوليات تربوية تجاه الأجيال الجديدة، بدءًا من الأسرة والمدرسة. وفي هذا الصدد، كانت هناك تذكيرات مستمرة ومتكررة من كل من الأمم المتحدة واليونسكو، وبالمثل لم يكن هناك نقص في المبادئ التوجيهية من الكنيسة الكاثوليكية. (UNESCO, 2015)

إن الإيمان بإمكانية تغييرنا وتغيير العالم وإشراكنا جميعًا يُعطي استجابة مثالية لمعنى اليوتوبيا، التي، كما يقول ر. مانشيني، "هي روح تُضفي عمقًا على منظورنا للزمن التاريخي. إنها الروح التي تسمح لنا بالتطلع نحو تحول في الواقع، غير مُعطى وغير مرئي الآن، والذي مع ذلك يُلحّ على الحدوث وقد يكون له مكانه في التاريخ."

4. دعائم العيش المشترك

1.4 الاعتراف بالآخر:

الاعتراف لا يعني فقط القبول بوجوده، بل الإيمان بحقه في أن يكون مختلفاً، وأن يعيش بكرامة. لا يمكن بناء مجتمع متماسك دون احترام وجود وتنوع مكوناته.

2.4 الاحترام المتبادل:

الاحترام لا يُطلب بل يُمنح. حين يرى الآخر فيك احتراماً صادقاً، يولد ذلك جواً من الأمان. وهذا يُسهم في خفض التوترات الاجتماعية وبناء علاقات متوازنة.

3.4 الحوار البناء:

الحوار هو الوسيلة الأكثر نضجاً لتسوية الخلافات، وتكوين صورة واقعية عن الآخر، وتبادل الرؤى. الحوار الجيد لا يهدف إلى فرض الرأي، بل إلى الوصول إلى أرضية مشتركة.

4.4 العدالة الاجتماعية:

لا يمكن الحديث عن تعايش حقيقي في غياب العدالة. عندما يشعر الأفراد أو المجموعات بأنهم مظلومون أو مستبعدون، فإن التوتر يصبح نتيجة حتمية. العدالة لا تقتصر على القوانين، بل تشمل فرص العمل، والتعليم، والتمثيل السياسي، وحرية التعبير.

5.4 التسامح الفعال:

التسامح ليس ضعفاً، بل قوة روحية وأخلاقية. هو وعي بأن العالم لن يكون نسخة واحدة، وأن التنوع مصدر إثراء لا تهديد.

5. أسس التربية على التعايش:

1.5 دور الأسرة:

الأسرة هي أول مدرسة للحياة. إذا نشأ الطفل على احترام الآخر في بيته، سيكون أكثر تقبلاً له في المجتمع. لذلك، من الضروري أن يغرس الآباء قيم التعدد والانفتاح والرحمة.

2.5 دور المدرسة:

يجب أن تُدرّس في المدارس مناهج تحفّز التفكير النقدي، وتُعزز قيمة التنوع، وتشجع على احترام الآخر. كما أن الأنشطة اللامنهجية، مثل النوادي والحوار الطلابي، تلعب دورًا مهمًا في بناء مهارات التعايش.

3.5 دور الإعلام:

ينبغي أن يكون الإعلام شريكًا في صناعة وعي جماعي إيجابي، لا أداةً للتحريض أو التشويه. الرسائل الإعلامية المؤثرة يجب أن تكون جامعة، تنشر ثقافة السلام وتُظهر قصص النجاح في التعايش.

4.5 دور المؤسسات الدينية:

الخطاب الديني له تأثير بالغ على وجدان الناس. وعندما يركز على قيم الرحمة، والتسامح، والمشاركات الإنسانية، فإنه يسهم في خلق بيئة أكثر تقبلاً واحترامًا للآخر.

6. التعليم للجميع: أسلوب حياة مشترك

منذ صدور الإعلان العالمي للتعليم للجميع (1990)، دأبت اليونسكو على تطوير سبل ووسائل واستراتيجيات تنفيذه، وقد أبرز تقرير ديور (1996) بوضوح أكبر الصلة الوثيقة بين التعليم وتعلم العيش معًا.

كما يتشارك إعلان إنشيون لعام 2015 رؤية البرنامج العالمي للتعليم للجميع، مؤكدًا على أصوله في المؤتمر العالمي في جومتين (1990)، والذي تكرر لاحقًا في دكار (2000). لذا، يهدف المنتدى العالمي لعام 2015 إلى ضمان تعليم عادل وشامل وعالي الجودة، وفرص تعلّم مدى الحياة للجميع بحلول عام 2020. وتكتسب الصلة الوثيقة بين التعليم للجميع وتعلّم العيش معًا أهمية خاصة، وهي الصلة التي تتجلى في تقرير الدورة السادسة والأربعين للمؤتمر الدولي للتعليم، الذي نظّمته اليونسكو - المكتب الدولي للتعليم (5-8 سبتمبر 2001)، والذي سبق ذكره في البداية: "التعليم للجميع من أجل تعلّم العيش معًا: المحتويات واستراتيجيات التعلم - المشكلات والحلول". ومن البديهي أن التعليم للجميع يُعتبر شرطًا أساسيًا وطريقًا للمضي قدمًا في تعلّم العيش معًا.

إذن، ما الذي نهدف إليه من التعليم للجميع؟ - يتضح من المواضيع التي نوقشت في المحافل الدولية أن التعليم للجميع يُشير في المقام الأول إلى توفير التعليم للجميع، دون تمييز على أساس الجنس أو الدين أو العرق أو اللغة، إلخ، بالإضافة إلى القناعة بأنه لكي يكون التعليم فعالاً للجميع، يجب أن يستجيب بفعالية لاحتياجات كل تلميذ، وأن يكون ذا جودة وشاملاً بحق.

لقد تجاوز الشمول، على الأقل من الناحية النظرية، مجرد التكامل، من منظور تنظيمي وتربوي-تربوي؛ فهو يتصور الاهتمام بجميع التلاميذ: ليس فقط ذوي الإعاقة، ولكن أيضاً أولئك الذين يُظهرون احتياجات تعليمية خاصة، وأولئك الذين يواجهون أي...

الحرمان الاجتماعي الناجم عن اللغة، والظروف الاقتصادية والثقافية، والدين، وأخيراً، عن جميع الآخرين، مع مراعاة مواقفهم الخاصة والشخصية، بالإضافة إلى أنماط تعلمهم. ومن هنا، جاءت الدعوة إلى نهج تعليمي يatal الجميع من خلال تشمين إمكانات الفصل بأكمله، وبالتالي تحويله إلى فصل شامل. إنه لإنجاز كبير أن نصل إلى إثبات الصلة الوثيقة بين الحالات الثلاث التي تصور التعليم الشامل، والتعليم الجيد، والتعليم متعدد الثقافات كشروط واستراتيجيات وسبل لا غنى عنها للتعليم للجميع.

ويتجلى الوعي بهذا الترابط الوثيق في وثائق اليونسكو، كما يتضح أيضاً في عنوان ندوة مهمة مشتركة بين المكتب الدولي للتعليم والوكالة الألمانية للتعاون الدولي حول "التعلم من أجل الحياة معاً" (كيغالي، رواندا، 13-17 أكتوبر/تشرين الأول 2008)، حيث يُنظر إلى تعلم العيش معاً على أنه مرتبط ارتباطاً مباشراً بتعليم مهارات الحياة، والمواطنة، والسلام، وحقوق الإنسان. لذا، فهي على قناعة تامة بأن تطبيق مبدأ الحق في التعليم للجميع وضمانه يتطلبان عملاً متعدد الأبعاد يشمل الأفراد والمؤسسات في مختلف المجالات. فبدون التزام الجميع، يستحيل العيش معاً في سلام ووثام: فلا مستقبل للبشرية، كما أكد خلال الدورة الثامنة والأربعين للمؤتمر الدولي للتعليم (جنيف، سويسرا، 25-28 نوفمبر/تشرين الثاني 2008): التعليم الشامل: طريق المستقبل.

7. خاتمة:

إنّ العيش المشترك ليس شعارًا يُرفع في المؤتمرات، بل هو سلوك يومي، وثقافة تُبنى، ومسؤولية تُحمل على عاتق كل فرد ومؤسسة ومجتمع. في عالم تتداخل فيه المصالح والمصائر، لا خيار لنا إلا أن نتعلم كيف نعيش معًا، ليس فقط لننجو، بل لنزدهر.

كما قال الشاعر اللبناني جبران خليل جبران:

"إذا لم يكن بين الناس محبة، فليس للعدالة قيمة، ولا للقانون معنى".

في مواجهة الأوضاع الراهنة المذكورة آنفًا، ليس فقط من حروب وعنف منظم، بل أيضًا من كارثة مناخية تاريخية، لا يمكننا أن نبقي غير مبالين وأنانيين دون التفكير فيما يجب فعله. وكما رأينا، لم يكن هناك دائمًا نقص في المبادئ التوجيهية الدولية والكنسية لتحسين الحضارة الإنسانية، وخاصة من خلال الأمم المتحدة واليونسكو من جهة، ولكن أيضًا من خلال السلطة التعليمية للكنيسة الكاثوليكية والدينية من جهة أخرى.

يؤدي فحص الوثائق الدولية التي أجريت حتى الآن إلى استنتاج أن جميع ما يسمى "التعليم من أجل"، مثل التعليم للجميع، والتعليم الجيد، والتعليم الشامل، والقائم على التضامن، والتعليم المتكامل، والتعليم متعدد الثقافات، والتعليم مدى الحياة، وما إلى ذلك، هي في الأساس طرق وشروط واستراتيجيات لتعلم العيش معًا. وبالمثل، لا يتحقق مبدأ الإدماج إلا من خلال تنمية الحب الحقيقي لكل شخص في علاقته بالآخرين، وكل مؤسسة في علاقتها بالمؤسسات الأخرى. الحب، بعبارة أخرى، هو قناة/أداة تُظهر بشكل ملموس الاحترام الفعلي وغير المشروط للكرامة المتساوية لكل إنسان، ولجميع الشعوب والثقافات.

إن الاعتقاد بأن جميع الرجال والنساء جزء من عائلة واحدة، في الواقع، يفترض أنهم مدعوون إلى خوض تجربة حب حقيقية وغنية في العائلات - المورد الأول الذي يجب استعادته بالطبع - المكان الذي نتعلم فيه حب الآخرين بدءًا من الحب غير الأناني الذي نتلقاه مجانًا ممن وُلدنا من خلالهم إلى العالم.

إن محنة تفكك العلاقات الأسرية والعنف المنزلي تكشف عن المفارقة المتمثلة في أنه بينما يحتاج جميع البشر إلى تجربة الحب ليتعلموا الحب والعيش في سلام ووثام مع الآخرين، فإن بعض أنماط الحياة - التي تركز على النجاح الفردي، والتنافسية الأنانية، والسعي وراء الزائل والثروة، وما إلى ذلك - تتناقض مع هذا الطموح وتجعل البشر أقل إنسانية. يكفي أن نفكر في مدى إفراغ كلمة "الحب" من معناها الحقيقي. إن تربيتهم هي في الواقع تعزيز للإنسانية في كل شخص.

كمعلمين، يجب علينا أن نتمسك بقناعة باليوتوبيا الضرورية بصفتنا مُربين، يجب علينا أن نتمسك إيماناً راسخاً باليوتوبيا الضرورية لتعلم العيش معاً، باعتبارها مهمة ورسالة كل إنسان والبشرية جمعاء. وليكن واضحاً أن هذه اليوتوبيا تتحقق على أكمل وجه بتعلم محبة الآخرين كنفسنا، وهي أخلاقيات أساسية تسري عبر التاريخ.

يبدأ تعلم العيش معاً، الذي يستلزم تعلم المحبة، على سبيل المثال، بأبسط فعلٍ من أفعالنا، وهو التحية. وفي هذا الصدد، يُصيب ر. بيتريلا، عالم السياسة والاقتصاد، حين يقول إن نقطة البداية لأي تعليم آخر هي أن يكون هدف النظام المدرسي الأول: "تعلم كيفية قول صباح الخير للآخرين". ووفقاً للمؤلف، فإن "قول صباح الخير للآخرين" يعني تحديداً أن النظام التعليمي مُكلف بتعليم كل مواطن: "الاعتراف بوجود الآخرين"، و"تعلم الديمقراطية وكيفية عيشها"، و"تعلم التضامن". يُقاس تقدم أي مجتمع بمدى اهتمامه بالفئات المهمشة. لذا، بدلاً من مجرد إعلان مبدأ الشمولية، من الضروري العمل على جعله واقعاً ملموساً من خلال تعزيز - من خلال التعليم - نظرة إيجابية للآخر، وممارسة العدالة بإنصاف، وضمان احترام حقوق الإنسان، أي محبة الآخرين كإخوة وأخوات. هذا ما يقوله الكتاب المقدس. ولذلك، فإن فقدان وتجاهل سيادة الله ووصية المحبة في سعينا نحو السعادة الحقيقية يخلق عالماً فوضوياً في صراع دائم، على الرغم من التذكيرات والتوجيهات الصادرة عن هيئات دولية كالأمم المتحدة واليونسكو على وجه الخصوص.

في الختام، يُمكن تأييد ما ورد في وثيقة مجمع التعليم الكاثوليكي (CEC)، اليوم: ديكاستري للثقافة والتربية)، "التربية من أجل الحوار بين الثقافات في المدارس الكاثوليكية". العيش معاً من أجل حضارة المحبة، أو بالأحرى، "الرابطه الجوهرية والاستراتيجية التي تربط "حب التعليم" و"التربية

بالمحبة" كعنصرين أساسيين، مترابطين لا ينفصلان، حيث تتجه نظرة المُعَلِّم والمُعلِّم بشكل متبادل نحو الخير والاحترام والحوار "

لذا، فإن التعليم الحقيقي والتمكامل وحده كفيلاً بتحقيق أهداف العيش المشترك وبناء التعايش على أسس السعي لتحقيق الصالح العام، والمحبة المتبادلة، واحترام الجميع، والشمول الحقيقي. فهل يبقى هذا حلمًا؟ بفضل اعتباره ضرورة، وبصفتنا متخصصين في التعليم، نرغب في أن نتعامل معه كتحديٍّ يجب تحقيقه بمنطق الخطوات التدريجية والمتدرجة، مع مراعاة إيقاعات الجميع، ولكن بعزيمة من لا تلين أمام الصعوبات والمشاكل. لأننا لا نعرف سبيلًا فعالاً آخر لتحقيق تعايش إنساني حقيقي قائم على الأخوة والتضامن.

6. قائمة المراجع:

- 1- chang, h.-c. a. (2024). learning to live together. a key educational challenge of our time. *journal of vasyi stefanyk precarpathian national university*, 25-38.
- 2- Mancini, R. (2019). *Utopia. From the ideology of change to the experience of liberation*. London: Gabrielli publishing.
- 3- Unesco. (2015). *Rethinking Education. Towards a Global Common Good?* Unesco: <https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf00....>.
- 4-Kwon, Y. W. (2025, January). Is AI a subject that can live together with humans? *AI & SOCIETY*, pp. 5235-5242.
- 5-Young, K. W. (2013). *Über den Reflexionsbegriff und die Funktion der Reflexion in der Moralität und Sittlichkeit bei Hegel*. Berlin : wvb.

- 6- أحمد بوحسن. (فيفري , 1989). المصطلح ونقد النقد العربي الحديث. مجلة الفكر العربي المعاصر.
- 7- عبده, ا. (1994). معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي عربي. لبنان: مكتبة لبنان.
- 8- محمد, ب. ي. (2021). أخلاقيات العيش المشترك. مجلة دراسات إنسانية واجتماعية -09 20.
- 9- نعيمة بن عليّة. (08 جويلية, 2019). نقد النقد في الفكر العربي قراءة في المفهوم والمصطلح والتطور. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية.